

DOI: 10.54240/2318-014-002-012

مظاهر التّزعة العنصرية للمستوطنين الأوروبيين تجاه الجزائريين خلال

الفترة 1830 - 1954 م

Manifestations of Racist Tendencies of European Settlers

Towards Algerians During the Period 1830-1954

اسم ولقب المؤلف المرسل: بغداد شاشي- Baghdad Chachi صص 286-313

الدرجة والعنوان المهني: طالب دكتوراه في التّاريخ المعاصر جامعة مين دباغين سطيف 2

البريد الإلكتروني: ba.chachi@univ-setif2.dz

تاريخ استقبال المقال: 2024/06/05. تاريخ المراجعة: 2024/07/10.. تاريخ القبول: 2024/10/13.

الملخص باللغة العربية: عملت فرنسا الاستعمارية لإنجاح سياستها الاستيطانية وإبقاء الجزائر أرضاً فرنسيّة على الدّعم والمساندة الماديّة للمستوطنين الوافدين من أوروبا، وحمايتهم بالجيش الفرنسي، إضافة إلى احتقارهم وشتيمهم وتعنيفهم من خلال سياسة التّفرقية العنصرية المفروضة من قبل المشروع الفرنسي.

تهدف دراستنا العلمية هذه إلى مُحاوِلة الكشف والوقوف على الفصل العنصري الاستعماري الذي مارسه المستوطنون الأوروبيون في الجزائر تجاه الجزائريين، ضاربين بذلك عرض الحائط كل القيم الأخلاقية والأعراف، فتزعتهم العنصرية الاستعمارية لا تمثل سمة فطرية في أبعدياتهم فحسب، بل هي سمة جوهرية للمشروع الاستيطاني الأوروبي في الجزائر، كما سنسلط الضوء في هذه الدراسة على إظهار بُغض وكُره المستوطنين الأوروبيين للجزائريين حتى وإن كان الأمر من باب الدّعابة أو المزاح .

لقد تطلبت هذه الدراسة الاعتماد على المنهج التاريخي الوصفي في استعراض ووصف لمختلف المظاهر العنصرية إضافة إلى اعتماد المنهج المقارن بين مجتمعين متناقضين لم يسلم فيه الجزائريون من نظرات الاحتقار والازدراء أيّما حلو وارتحلوا، ناهيك عن الكلمات البذيئة والسّب الذي كانوا يتعرضون له.

وفي ختام هذه الدراسة خلصنا إلى جملة من النتائج التي ترتبت عن هذه النزعة العنصرية الاستعمارية، والتي جعلت الأقلية الأوروبية المستوطنة تحفر خندقها الذي ستقبر فيه بمعاملتها وسلوكها تجاه الجزائريين، الذين صمدوا وتصدوا لهم إلى أن أفسلوا جميع مخططاتهم، بما فيها أهداف فرنسا وعلى رأسها إبقاء الجزائر الفرنسية. الكلمات المفتاحية: المستوطنون، الجزائريون، العنصرية، المجتمع، الجزائر.

ABSTRACT : Colonial France worked to ensure the success of its settler policy and to keep Algeria as French territory by providing material support and assistance to the settlers arriving from Europe and protecting them with the French army. In addition, the French imposed policies of racial discrimination, which involved despising, insulting, and abusing Algerians.

This scientific study aims to uncover and analyze the colonial racial segregation practiced by European settlers in Algeria against the Algerians, blatantly disregarding all ethical values and norms. Their colonial racist tendencies were not only an inherent trait but also a fundamental aspect of the European settler project in Algeria. In this study, we will also highlight the hatred and disdain European settlers held toward the Algerians, even in jest or humor.

The study necessitated the use of the descriptive historical method to review and describe various racist manifestations, as well as the comparative method to analyze two contrasting societies. Algerians were subjected to scornful and contemptuous looks wherever they went, in addition to the vulgar language and insults they endured.

In conclusion, this study arrived at a set of findings that resulted from this colonial racist tendency, which led the European settler minority to dig its own grave through its treatment and behavior toward the Algerians. The latter stood firm and resisted, ultimately thwarting all their plans, including France's primary goal of maintaining Algeria as French territory.

Keywords: The settlers, Algerians, racism, society, Algeria..

المقدمة: مع بدايات الاحتلال الفرنسي للجزائر أظهر المستعمرون الفرنسيون عداؤهم الشديد لكل ما هو جزائري، واتخذوها مستعمرة استيطانية مثلت أكبر خطر هدد كيان الشخصية الجزائرية، فالموجات الكثيفة من المستوطنين التي تعرضت لها الجزائر صاحبها عمليات اقتلاع وتهميش وتشريد للسكان الأصليين، وأصبح المستوطنون ينظرون إلى الجزائر بعد مرور أجيال على أنها موطنهم الأصلي.

فالثقافة الغربية الأوروبية لهؤلاء الوافدين من أوروبا والقائمة على العنصرية البغيضة لكل ما هو غير غربي، صوّرت العرب و المسلمين كجنس حيوانيّ حقير... فنعتوهم بالكلاب والخنازير، حتّى ذهب البعض إلى أساليب غير متحضّرة رافقتها مظاهر السّب والشتم والتي لم تكن إلا نتاج ثقافة الكراهية للإسلام، فالخطر الأكبر لا يكمن في تمجيد المستوطنين الأوروبيين للحضارة الغربية وإنّما في طريقة التّمجيد، فهم يقارنون حضارتهم دائماً بما رسموه من صورة سيئة في أذهانهم عن الأمم الأخرى عامّة والعرب المسلمين في الجزائر خاصّة.

تأتي دراستنا العلمية هذه مُحاوَلَة للكشف والوقوف عند الفصل العنصري الاستعماري الذي مارسه المستوطنون الأوروبيون في الجزائر تجاه الجزائريين ،مدعومين من طرف الإدارة الاستعمارية التي عزّزت استيلاءهم على الأرض واستعبادهم للإنسان، فنزعّتهم العنصرية الاستعمارية لا تمثّل سمة فطرية في أبجدياتهم فحسب، بل هي سمة جوهرية للمشروع الاستيطاني الأوروبي في الجزائر ، ومن هنا يمكن طرح الإشكالية التالية :

فيم تتمثّل مظاهر التّزعة العنصرية الاستعمارية للمستوطنين الأوروبيين تُجاه الجزائريين؟.

ومن هذه الإشكالية تتفرّع الأسئلة التالية: ماهي الخلفية الأيديولوجية للتّزعة الاستعمارية العنصرية الأوروبية في الجزائر؟ ماهي الأسباب التي ساهمت في تأجيج هذه التّزعة العنصرية لدى المستوطنين؟ فيم تكمن مظاهر هذه العنصرية الاستعمارية تجاه الجزائريين؟ أيّ الفئات الأوروبية الاستيطانية الأكثر عنصرية تجاه الجزائريين؟ كيف كان تعامل المستوطنين الأوروبيين للجزائريين الموالين للإدارة الاستعمارية؟

1- الخلفية الأيديولوجية للعنصرية الاستعمارية في المجتمع الأوروبي: عملت فرنسا الاستعمارية لإنجاح سياستها الاستيطانية وإبقاء الجزائر أرضاً فرنسية على الدّعم والمساندة المادّية للمستوطنين الوافدين من أوروبا وحمايتهم بالجيش الفرنسي، أو تجنيدهم في ميليشيات مسلّحة تسعى من خلالها إلى محاربة الجزائريين وإبادتهم، إضافة إلى احتقارهم وشتيمهم وتعنيفهم، فالمستوطنون لا يكفّون عن التّدخّل في شؤون الجزائريين لكونهم يسعون دائماً إلى الهيمنة والسيطرة عليهم، وذلك بسبب التّزعة الاستعمارية المتأصّلة في كلّ جوانب ذلك الفكر الاستيطاني التي جعلته لا يرضى بالتّديّة للآخر، وذلك كون أنّ ما يميّز فكر

المستوطنين الأوروبيين عن غيره أنّه لا يعترف بالآخر ويقصُر اهتمامه على مصالحه وذاته، ولا ينظر المستوطن الأوروبي للجزائري إلّا وفق معايير الخاصة التي يرى بها الجزائريين أنّهم مجتمع بدائي لا يرتقي إلى مستوى الحضارة.

أما المستوطنون فهم أقلية، تتألف من أناس ذوي مسيرة سيئة، ماضٍ غير مشرفٍ مملوء بالسوابق ينتمون إلى فئة المتشردين وشذاذ الأفاق وهدفهم السيطرة على الثروات والممتلكات¹، عاشوا التباين بسبب اختلاف مشاربهم التي وقفت حائلا دون تحقيق الانسجام الكامل، حتى بلغ الأمر بالفرنسيين النظر للأوروبيين الوافدين من الجنسيات الأخرى بشيء من التعالي و الاحتقار²، إلّا أنّهم يشكّلون أكبر عقبة أمام الاندماج فالتجربة تؤكد أنّ هؤلاء المستوطنين لديهم عنصرية وكراهية مقبنة تجاه الجزائري أكثر من الحكومة الفرنسية في حدّ ذاتها³.

وقد استغلّ المستوطنون الظروف ومنها الحروب، و التي أباحت لهم الممنوعات والمتاجرة في الزيت و اللحوم والسجائر والكحول، إضافة إلى المتاجرة بالنساء وبيوت الدعارة، فاختلطت المافيا من مختلف الأقليات واتسعت شبكة الفساد والرشاوى، وتمكّنوا من الاستيلاء على الثروات الاستعمارية لصالحهم⁴، وقد وصفهم الرئيس الفرنسي ألبر صارو "Albert Sarraut" بالبطون المنتفخة على حدّ تعبيره⁵.

كان لزاما على الإدارة الاستعمارية أن تحرص على تنوير وتوعية المستوطنين الأوروبيين بأهمية المجتمع الجزائري في المشروع الاستيطاني، وضرورة تقبّل العيش معه لتسهيل عملية الانصهار الذي يصبّ في مصلحتهم⁶، إلّا أنّ المستوطنين باختلاف مشاربهم التي قدّموا منها

1- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية (1830 - 1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص 33.

2 - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، تر: نجيب عياد و صالح المثلوثي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994، ص 81.

3 - Jean Melia, Le Triste sort des indigènes musulmans d'Algérie, Paris, Mercvre de France, 1935, p.46.

4 - آني راي غولد زيغر، جذور حرب الجزائر (1940-1945)، ترجمة: وردة لبنان، مراجعة: حاج مسعود حاج، دار القصة، دار القصة، الجزائر، 2005، ص 44.

5 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة: أبو بكر رحال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص 145.

6 - Jean Melia, op. cit, p.47.

واستقروا بالجزائر، لم يكن لديهم ما يوحدتهم سوى مصالحهم الخاصة وكرههم وعنصريتهم تجاه الجزائريين¹.

فالمستعمر الفرنسي ومن حيث يدري قد قذف بالجزائريين مكتوفي الأيدي كلقمة سائغة في مجاهل الفقر والجهل والاستغلال الذي فرضه الدّخلاء الأوروبيون، وأخطر من ذلك جعلهم عرضة لاحتقارهم وكرهيتهم، إضافة إلى أنّه لا يمكنه أن ينكر سنّه قوانين استثنائية جائرة ترمي إلى حماية وتعزيز مكانة وعنصرية هؤلاء المستوطنين الأوروبيين، ضاربا حقوق الإنسان واحترام الدّات الإنسانية عرض الحائط².

فالعلاقة بين المجتمعين لم تكن متساوية بأيّ شكل من الأشكال، فالعنصرية كانت هي محور هذا النّظام الاستعماري وتفوق المستوطنين الأوروبيين هو من المسلّمات الّتي لا يمكن مناقشتها، معتقدين بأنّهم خلّقوا سادة وغيرهم من البشر ما هم سوى عبيد لهم³، لقد انغمسوا في خضمّ العنصرية الّتي انتهجها آباؤهم وتشبّعوا بمبادئها⁴، فهناك حقيقتان متكاملتان لا تنفصلان في فكر معظم المستوطنين الأوروبيين في الجزائر، وهما أنّ المستوطنين هم ذوو الحق المطلق الإلهي، أمّا الجزائريون فهم أقلّ مستوى من البشر، وهي ترجمة لواقع حقيقي مادام ثراء الأولين يقوم على بؤس الآخرين⁵.

في الروايات الصّادرة عن المستوطنين الأوروبيين والصّحافة العالمية لا يوجد في العادة اسم للإنسان الجزائري أو ملامح خاصّة به فهو فقط العربي أو القروي أو الأندجين، ففرنسيو الجزائر كانوا يدركون تمام الإدراك ذلك الصّراع الذي سيخوضونه في وسطٍ معادٍ لهم، وضدّ طبيعة قاسية سعوا للسيطرة عليها⁶ بالتّرويج لأفكار مسمومة بثّتها فيهم صحفهم ذات

1 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، المرجع السابق، ص 72.

2 - المرجع نفسه، ص 16.

3 - أني راي غولد زيغر، المرجع السابق، ص 91.

4 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، المرجع السابق، ص 25.

5 - جان بول سارتر، عارنا في الجزائر، تر: عابدة وسهيل ادريس، دار الآداب، لبنان، 1958، ص 56.

6 - محمد حربي، المرجع السابق، ص 95.

العنصرية العرقية التي أُوهمتهم بأنهم موجودون في بلادهم وأنهم أصحاب هذا البلد بالقوة وهم الملاك الشرعيون¹.

لقد استطاع المستوطنون أن يكونوا ثروات ضخمة في وقت وجيز، وأصبح كلامهم كلام الأسياء المتمتعين بالثروات والامتيازات صائبين كلّ حقدهم وكراهيتهم على الجزائريين، فوصفهم فرحات عباس بقوله: "هم الذين يرهقوننا باحتقارهم لنا وبحقدهم علينا"، ثم يضيف قائلا: "هذا المجتمع الذي نراه يتألب ضدنا كانوا طريدي البؤس من أوروبا"²، ويضيف: "هكذا تحوّل هؤلاء الجائعون بدورهم إلى برجوازيين نبلاء على أرض الجزائر منشغلين بالكيفية التي يفصلون بها من جلد الفلاح المسكين لوحات لأسماء فنادقهم"³، وفي حقيقة الأمر أنه لا يوجد مستوطن جيّد وآخر قبيح، بل هناك استعماريون فقط⁴.

2 - مظاهر التّزعة العنصرية الاستعمارية الأوروبية تجاه الجزائريين

إنّ غالبية المستوطنين في الجزائر يرفضون أيّ محاولات تؤدي إلى المساواة بينهم وبين الجزائريين متشبّعين بأفكار عنصرية ورجعية⁵، فالمستوطن وثقافته لا يعترفان بشخصية الجزائري ولا هويته فتلقّب الجزائريين بالمسلمين الفرنسيين تارة وبالأهالي و العرب تارة أخرى ولا تطلق عليهم أبدا اسم الجزائري⁶، بل أكثر من ذلك أصبح المستوطنون جلاّدين وسفّاكين وأكثر وحشيّة من الجنرالات الفرنسيين، فالعربي في نظرهم اجتمعت فيه كلّ الرذائل والمثالب، حتّى تمسّكه بالحياة يعتبر جريمة و جناية في أبجدياتهم⁷.

1.2- الحقد والكراهية وتشويه القيم الأخلاقية والإنسانية للجزائريين: لم يتوان المستوطنون في إظهار بُغضهم وكُرههم للجزائريين وإن كان الأمر من باب الدُّعابة أو المزاح⁸.

1 - عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ الجزائر والحركة الوطنية الجزائرية، دارهومة، الجزائر، 2004، ص 230.

2 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، المرجع السابق، ص 140-141.

3 - المرجع نفسه، ص 80.

4 - جون بول سارتر، مواقف مناهضة الاستعمار، المرجع السابق، ص 56.

5 - جريدة المجاهد، "الأقليات الأوروبية في الجزائر بين الأمل والغد"، ع 51، اللسان المركزي لجهة التحرير الوطني الجزائري، الاثنين 21 سبتمبر 1959، ص 6.

6 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 61.

7 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، المرجع السابق، ص 83.

8 - مصالي الحاج، مذكرات 1898-1938، تر: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص 37.

وإضافة إلى ذلك كان الجزائري يوصف بأنّ شهواته ليس لها حدود، وأنّ من الصعب أن تجد جزائريا طاهرا وعفيفا على الأقل في القصة، متحججين بقولهم: "أنّ المسلم هذا الشّهواني عبد غريزته الأولى شغله الوحيد هو الجنس"¹، ووصفوه بالشاذ جنسيا وأنه خطر على الصّبيان الصّغار خاصّة الأوروبيين، ونسجوا له العديد من النكت الغامزة التي تعكس حقدهم وكراهيتهم للجزائريين².

وقد وصف شاعر أوروبي ساخر الجزائريين في مجلة بابا-لويت "Papa-Louette" سنة 1909 بأنهم: "عرب خسيسون وكريهو الرّائحة في قذارتهم التي تصيب مدينة الجزائر بالعدوى، وها هو القمل يتحرك بحريّة حيثما شاء في عربات (الترام) وعلى الكراسي الخشبية العامّة وغيرها" ويضيف قائلا: "إنّ المدينة قدرة مليئة بالزّباله والقذارة والرّوائح الكريهة، وحتىّ المساجد قد التصق اسمها بالرّائحة الكريهة فهو ينتهي إلى تلك السّلالة المكروهة"³، وهكذا أصبحت كلمة "صال أراب" ملازمة للإنسان العربي القذر والوسخ، المثير للاشمئزاز والتّفقّز.

2.2- النّعوت والكفى التحقيرية وتشويه أسماء وألقاب الجزائريين: لا يمكن للمستوطن الأوروبي في الجزائر أن يكون رجلا إلّا إذا كان أعلى درجة من الجزائري فهو يمقته يرفض أن يعتبره من عالم البشر، فكلّ ما يشغل بال المستوطن وفكره هو القهر والتّرويض والعقاب تجاه الجزائريين ، بل إنّه يرى أنّ هواء الجزائر لم يعد كافيا لاستيعاب جنسين من البشر⁴، فتصرفاتهم اتّسمت بالعنصرية المقيتة، فالجزائري في نظرهم ما هو إلا حيوان مخلوق مشبّع بالتّعصب الديني، ولا يمكن إيقافه عند حدّه إلّا باستعمال القوة⁵.

أما عن نظرتهم للجزائريين فكانت نظرة تعالٍ واستضعاف مملوءة بالحيطة والحذر من جهة والتّهمك والاحتقار من جهة أخرى، فالجزائريون يمثلون المجهول والغربة والخطر في

1 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 78.

2 - المرجع نفسه، ص 81.

3 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 76.

4 - جون بول سارتر، مواقف مناهضة الاستعمار، تر: محمد المعراجي، مر: أحمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص 72.

5 - عمار بوحوش، العمال الجزائريون في فرنسا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 46.

أبجديات المستوطنين¹ ، ويذكر فرحات عباس جملة من رواية صلبان الحطب لكتابتها رولان دورجولاس "Roland Dorgelès"، تعكس تفكيرهم وتغني عن كلّ تعليق والتي جاء فيها: "التيوس يتتابعون... سوف يحى الوطيس"².

كما كانوا يستهزؤون بالجزائريين ويستفزونهم، وهذه الوضعية أشار إليها مالك بن نبي من خلال معاشته لها فيقول: "بدأت أضع نظارات على عيني، لقد كان ذلك أول الأمر مبعث إزعاج لي من الشباب الأوروبي الذين يقدحونني كلّما رأوني بقولهم: "إيه أبو أربع عيون"³، ويصف السيد شابریدون "Chabridon" معلّم في أوريال "Hurriel" (Allier) الانطباع السيء لنظرة المستوطنين للجزائريين، بوصفهم بالكائنات القذرة والكسولة والحفاة العراة الجياع المتلهفين لمسح الأحذية⁴.

وفي رسالة ميشال موريل "Michel Morel" التي كتبها بجريدة الإكسبرس بتاريخ 1959 جاء فيها: "تسألوني هل أؤمن بالديمقراطية؟، أنا لا تهمني ديمقراطيتكم، إنهما تثير الغثيان عندي، ألا ترون إلى أين تفضي بنا هذه الديمقراطية، ثمانية ملايين من الفئران القذرة والأمية يتحدثون فرنسا"، ليضيف دون حياء: "لا يمكن لك أن تركب قطارا لأنّه مكتظ بهم، ولا يمكنك يوم 15 أوت أن تتمتع بالبحر لأنّه غاص بهم"⁵.

ومما يدلّ على العنصرية المقيتة والتفرقة الاجتماعية سواء في المدن أو المدارس أو أماكن العمل أو من الواقع اليومي، هي تلك النعوت التحقيرية و المفردات الحيوانية والدنيئة التي

1 - عبد الرحمن مزبان شريف، حرب الجزائر في فرنسا- موريديان- جيش الخفاء، تر: العربي بونون، دار الحكمة، الجزائر، 2012، صص 18-19.

2 - فرحات عباس، الشاب الجزائري من المستعمرة الى المقاطعة، تر: احمد منور، الجزائر، 2010، ص 39.

3 - مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ط 2، دار الفكر، دمشق، 1980، ص 51.

4 - Bonze Raymond, L'Algérie du centenaire vue par l'université de France, publication du comité national métropolitain du centenaire de l'Algérie, SD, p22.

5 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، المرجع السابق، ص 25.

يستعملها المستوطنون الأوروبيون عند الإشارة للجزائريين مثل "البيكو"¹، الراتون²، الصال
أراب أي العربي القذر"³.

ويبين أبو القاسم سعد الله صورة البيكو في أذهان المستوطنين فيقول: "الأجزاء المؤلفة
لصورة البيكو في ذهنية الأقدام السوداء مكونة من خمسة لوازم وهي أنه : وحشي، وفقير،
وقذر، وغشاش، وشهواني"⁴، وفي رواية الحريق لمؤلفها لويس لوكوك "Louis Lecoq" وظّف
هذا المصطلح البيكو في وصف الجزائريين واتّهمهم بالمسؤولية وراء اندلاع الحريق في الغابة
بعبارة "آه بالبيكوات"⁵.

ومن بين الألفاظ التي كانت تحمل دلالات الاحتقار بكلّ معانيها لصفة العربي مثل:
"تليفون عربي" ومعناه الاتصال من الفم إلى الأذن وعدم حفظ الأسرار وكثرة الأقاويل
والإشاعات، و"حكاية عربية" ومعناها قصة معقدة، و"شغل عربي" ومعناه عمل غير متقن،
و"صندوق عربي" بمعنى ضخم⁶، وكل شيء صنع على الطريقة العربية يكسب بذلك معنى
منحطاً ووحشياً وغير جمالي، كما أنّ عبارة فلان "بقي عربياً" كانت إحدى الملاحظات الأكثر
عنصرية، والتي أدرجت في التقرير الخاص ببطاقات التلاميذ المسلمين في المدرسة النورمالية
ببوزريعة⁷.

لقد تعود المستوطنون في تربية أطفالهم على احتقار الجزائريين والخوف منهم، ليكبر
هؤلاء الأطفال وهم يحملون في أذهانهم اعتقاداً وأحكاماً مسبقة تضفي إلى الصدام وعدم

1 - البيكو: كلمة بيكو أصلها إيطالي فيما يبدو ومعناه التيس كناية عن الشعر الأسود وربما على الغباء أو عليهما معا ، ينظر:
فرحات عباس ، الجزائر من المستعمرة إلى الإقليم الشاب الجزائري 1930 ترجمة : أحمد منور ، تقديم : أبو القاسم سعد الله
،وزارة الثقافة، الجزائر، 2007 ، ص 120 .

2 - الراتون: هي تلك الدويبة المخاتلة التي تزور خم الدجاج حينما يغيب عنها الحارس الوفي أو يكون مربوطا ، ويقصد هنا
بالكلب ، ينظر: فرحات عباس ، الجزائر من المستعمرة إلى الإقليم الشاب الجزائري 1930 ، ص 120

3 - فرانس قانون، المرجع السابق، ص 27-28.

4 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ص 73.

5 - مسعودة مرابط يحيياوي، المجتمع المسلم والجماعات الأوروبية في جزائر القرن العشرين حقائق وايدولوجيات وأساطير
ونمطيات، مج 2، دارهومة، الجزائر، 2010، ص 500.

6 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 60.

7 - المرجع نفسه، ص 61.

الوفاق وزيادة الأحقاد بين المجتمعين¹، في ظلّ عنصرية متناهية متطرفة غرسها منظّرو العملية الاستعمارية، ملجّين على أنّ الحضارة الأوروبية لابدّ لها أن تعمق جذورها وتمدّ أغصانها أكثر في أرض إفريقيا المتوحّشة، معارضين دخول العنصر العربي لها، فيقول بوديشون "Bodichon": "لابدّ أن نحترس فإنّ العنصر العربي سيدخل في شجرة حضارتنا مثل الدودة وسيلتهمها ومهما سقينها بدمنا وعرقنا فإنّها ستبقى شجرة هزيلة وغير مثمرة"².

لم يتوان المستوطنون الأوروبيون في استفزاز الجزائريين خاصّة فيما يتعلق برموزهم الدّينية، من خلال استعمال اسم "أحمد" قليل الأدب للرّجل العربي³، واسم "فاطمة" للمرأة العربية بدون تمييز على أنّها قليلة الأدب أو عبارة "موكير" ⁴ "Moukère" التي كانت تستعمل بشكل أقل⁵، وهكذا يوما بعد يوم تعمّقت الهوة بين المجتمعين وظلّ سلوك المستوطنين ضدّ أيّ تطور لعلاقاتهم مع الجزائريين⁶.

وبعد الحرب العالمية الثّانية حلّت ألفاظ أخرى جديدة مكان تلك المستعملة، مثل: "باطار" ⁷ (Patard)، نيقر ⁸ (Nègre)، بونيول ⁹ (Bougnoul) " ¹⁰، وكانت عباراتهم البذيئة المشبّعة

1 - عباس فرحات، الشاب الجزائري- من المستعمرة الى المقاطعة، المرجع السابق، ص37.

2 - أوليفي لوكور غرانميزون، الاستعمار الإبادة تأملات في الحرب و الدولة الاستعمارية، تر: نورة بوزيدة، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2008، ص158.

3 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص59.

4 - موكير (Moukère): هي في الأصل كلمة إسبانية (mujer) تعني امرأة وكانت تستعمل للإشارة إلى النساء الجزائريات وكانت لها دلالة عنصرية مقبولة بمعنى نساء راقصات عاهرات، أنظر: <https://www.cnrtl.fr/definition/moukère>

5 - المرجع نفسه، ص60.

6 - مسعود مرابط يحيوي، المرجع السابق، ص510.

7 - باطار (Bâtard): تعني رجل حقير أو نذل ومشكوك في أصله أي لقيط ولد من غير زواج يستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى شخص ما بطريقة مهينة، أنظر: <https://www.le-dictionnaire.com/definition/bâtard>

8 - نيقر (Nègre): أي العبد الأسود أو الشخص الذي تكون بشرته داكنة والذي كان يعمل في المستعمرات أستخدم هذا الوصف العنصري من طرف المستوطنين الأوروبيين لوصف السكان الأصليين ذوي البشرة الداكنة في المستعمرات، أنظر:

<https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/nègre/54084>

9 - بونيول (Bougnoul): إحدى التفسيرات الإتيمولوجية لهذه الكلمة حسب الباحثة أليس زينيتير (Alice Zeniter) تعود إلى التعبير (Bou gnôle) (le Père la Gnôle) (le Père Bouteille) وهو مصطلح احتقاري يستخدم للإشارة إلى المدمنين على الكحول، وهناك تفسير آخر يربطها بالتعبير (Apporte lagnôle) أي (أحضر الخمر) الذي استخدمه جنود شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الأولى، والذي تم تبنيه ككنية احتقاريه من قبل المستوطنين تجاه الجزائريين، أنظر:

بحقدهم تجاه العرب ترافقها دائما حركات فاحشة وألفاظ فاحشة، خاصة من قبل المستوطنين الذين يتقنون اللغة العربية¹.

لقد كان الجزائريون دائما موضوعا للضحك، فقد كتب مولود فرعون في يومياته قائلاً "من هو الجزائري في عين الأوروبي، إنه عامل مشترك، خادمة منزل، مخلوق غير متجانس بطرق مثيرة للضحك وعادات غريبة ولغة مستحيلة"²، وفي صور ألفها الجزائريون وأصبحت تلازمهم خلال يومياتهم تم وصفهم بالألقاب ساخرة مثل: "موتشو" "Moutchou" أي الصبي ويطلق على ممثلي أصحاب المحلات التجارية من الميزابيين، لأن جميع موظفي دكاكين الميزابيين ما هم إلا مرؤوسون³، وبلقب "بورتى مادام" للخدم من الأولاد وبلقب "سيري" "Ciri" لماسحي الأحذية، و الأطفال المسلمون في الشوارع كانوا عرضة للتنكيت، وبائعو الزيت من بلاد القبائل يتعرضون لسخرية وثقب جلود قريهم وقلب جرار مياههم، وكانوا يرمون بالحجارة والطماطم الباعة في الشوارع وحتى العجزة المتسولون لم يسلموا من إساءتهم⁴، فالعرب في نظرهم حمقى وشرسون ومتقهقرون نحو البدو والصحراء و متعصبون وبدائيون⁵،

وحتى الألقاب الجزائريين هي الأخرى لم تسلم من عنصرية فيها الكثير من الدناءة والاحتقار، فمنها الألقاب العائلية مثل "حلوفة، حمار، فار، زبل، بهلول ومجنون"، وألقاب عائلية أنثوية مثل "بختة، مسعودة، مريم، ثلجة"، وألقاب عائلية أخرى مستمدة من أعضاء لجسم الانسان مثل "بوراس، بوكرش، بونيف، بوكراع، بوركايب، قصير، خشين"، وبعض الألقاب الأخرى مقتبسة من فصول أو أيام أو ألوان أو حتى حيوانات ومنها "لحمر، لبيض، لكحل، قنفود، ذيب، معزة، سردوك، سبع"، وألقاب أخرى من الخضر والفاواكه مثل:

- <https://www.le-dictionnaire.com/definition/bougnoule>

- Alice Zeniter, L'Art de Perdre, Flammarion/Albin Michel, 2017, p.40.

10 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 61.

1 - مصالي الحاج، المرجع السابق، ص 54.

2 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 64.

3 - Mare Klein, Le Moutchou (le battah), organe officiel de l'Association générale des étudiants d'Alger.

1925, p.06.

4 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 66.

5 - المرجع نفسه، ص 73.

"بطاطا، كابويا ، تفّاح" أو من أواني المطبخ مثل "كسكاس، طجين، طاس" أو من وسائل الزراعة مثل: "بوفاس، بومنجل" ومن الحشرات مثل: "بخوش، ناموس، بقّة" أو من الملابس مثل "بوقندورة ، بوبرنوس"¹.

وكانت اللغة العربية من جهتها تعامل بكرهية بالغة، فهي في نظرهم لغة لا تنفع وصعبة وعنيفة ووحشية، وصاحب هذه اللغة هو إنسان موصوف بالتخلف والخشونة والعناد، فهو "بوريكو- حمار" وهو "راتون" ومعناها فأر ، أي أنّه مخلوق دون الصّفة البشرية تقريبا².

ويشير الكاتب لويس بيرتران "Louis Bertrand" في قصّته التي تدور أحداثها في باب الوادي، إلى أنّ بطل القصة عندما أصبح مدمنا على لعب الورق في القصة مع الحمالة القبائليين، حذره أصحابه بنصف دعاية قائلين "كريستو! (أي بجاه المسيح يا بيت) إنّك ستصبح قريبا بيكو حقيقيا"³، وفي روايته الافريقية واصل بيرتران "Bertrand" انجذابه نحو أبناء عرقه واحتفاءهم بقوتهم ونشاطهم، وبالمقابل الترويج للصّورة الهمجية والكرهية اتجاه الجزائريين⁴.

ومع مرور الوقت تعمّقت الهوة بين المجتمعين بسبب موقف المستوطنين وعقليتهم العنصرية التي كانت ضدّ أيّ تقارب بينهم وبين الجزائريين، ومجازر 8 ماي 1945 هي أبلغ دليل على حقد المستوطنين و وحشيتهم⁵، فشكّلوا ميليشيات عسكرية في قسنطينة وأطلقوا شعار الموت للجزائريين، وكوّنوا مجموعة تحاكمهم وتعدمهم رميا بالرصاص⁶، ولإرضاء رغباتهم المريضة في الانتقام استغلّ المستوطنون حوادث 11 ديسمبر 1960، و شكّلوا عصابات مسلحة ترتدي البدلة العسكرية وتبيد الجزائريين⁷.

1 - مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، المؤسسة الوطنية للطبع، الجزائر، 2014، ص 54.

2 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 74.

3 - المرجع نفسه، ص 69.

4 - بتريشيا لورسن، هويات استعمارية الصورة النمطية والتحيز والاعراق في الجزائر المستعمرة، تر: ابتسام خضرة، دار الامير للنشر والتوزيع، باريس، 2022، ص 292.

5 - سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح، تر: محمد حافظ الجمالي، دار القصة، الجزائر، 2007، ص 228.

6 - جريدة المجاهد، "من 8 ماي 1945 ... إلى ثورة 1 نوفمبر 1954"، ع 23، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني الجزائري، الاربعاء 7 ماي 1958، ص 2.

7 - جريدة المجاهد، "ما لم تقرأه عن مظاهرات الجزائر"، ع 87، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني الجزائري، الاثنين 16 جانفي 1961، ص 4.

3. أسباب تأجج النزعة العنصرية الاستعمارية لدى المستوطنين الأوروبيين: منذ احتلالها للجزائر سعت فرنسا للعمل على تكوين مجتمع متطور وفق النظم الحديثة وهو ما كانت تحاول أن تروج له عبر منظريها ودعاة فلسفتها، و كان همها الكبير بالمقابل هو كيفية تحطيم هذا المجتمع المحلي الذي تسوده حسية صفات الجهل والظلام، فعملت على تدمير بنيته الاجتماعية والاستيلاء على أحصب الأراضي لوضعها في يد المجتمع الأوروبي الجديد الذي استحدثته بالجزائر.

1.3- الإدارة الاستعمارية ودعمها اللامتناهي للمستوطنين الأوروبيين: استعملت الإدارة الاستعمارية عدة وسائل من أجل ضمان سيطرة المستوطنين على الوضع بالجزائر، وذلك بإغلاق كل الأبواب التي من شأنها أن تحسّن من الحالة الاجتماعية للجزائريين¹، فأقامت نظاما استعماريا على أسس واهية لا تركز إلا على الهمجية و الوحشية، فكان هذا النظام من الناحية الاجتماعية هو عين الفوضى، لخلوّه من التوازن وعدم استناده على مقياس صحيح وقانون معقول في توزيع مناصب الحكم وتقسيم الثروة وتنظيم الحياة الاجتماعية²، وباعتبار أنّ المستوطنين هم الحلفاء الطبيعيين للإدارة الاستعمارية وركيزة مشروعها الاستيطاني، فلم تبخل عليهم بالامتيازات على حساب الجزائريين فشجعت الاستيطان بكل أشكاله³.

لم تكن طبيعة المستوطنين في بادئ الأمر مجبولة على الظلم والطغيان، ولكن المشروع الاستعماري الذي كرّسته البرجوازية الاستعمارية كيفهم على ذلك و مكّنه من بسط سيطرتهم ونفوذهم، فاتخذوا من العنصرية مذهباً ومن الظلم ديناً⁴، كما أنّ الإدارة الاستعمارية ساهمت

1- عبد الرحمن بن ابراهيم ابن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الثالثة 1947-1954، ط 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص 158.

2- محمود بوزوزو، "هل من جديد أمها الولي الجديد"، مقال بجريدة المنار، عدد 4، السنة الأولى، 21 ماي 1951، الجزائر، ص 01.

3- صالح عباد، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر 1870-1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 68.

4- فرحات عباس، ليل الاستعمار، المرجع السابق، ص 82.

في نمو بارز لعقلية العنصر الأوروبي، والذي عبّر عنه أندري ماندوز "André Mandouze" بقوله: "أنّه أصبح السيّد المطلق والمهندس والمبدع والمالك الوحيد للجزائر"¹.

لقد كان العرب في نظر معظم الضباط مجموعة بدائية تتكوّن من كذّابين ومرائين وقساة يجب التّحكم فيهم بالقوة، فقد استعمل التّقيب ريشار "Richard" في كتابه مشاهد من سلوك العرب نفس التعابير الّتي كان يستخدمها المستوطنون احتقارا للجزائريين².

ومما زاد من مآسي الجزائريين تخويل السّلطة الاستعمارية للمستوطنين التّحكّم في جمع الضرائب، حيث تفتّنتوا في فرض طريقتهم في ذلك واجتهادهم في إرغام المعنيين على الدّفع أو التّغريم والعقاب، أو حجز الأواني المنزلية وأثاث المنزل أو الأغنام إن وجدت، و في حالة عدم قدرة الجزائريين على دفع ما عليهم من ضرائب، يرغمون على بيع أيّ شيء يمتلكونه بثمان زهيد بغية تسديد الضّرائب، والأدهى من ذلك أنّ بعض الجزائريين كانوا يلجؤون لبيع أساور زوجاتهم³.

فأعمال الحجز الّتي طالت حتّى مستلزمات الفقراء العاجزين عن دفع ضرائبهم كانت تجسّد الواقع المرير المتجرّد من كلّ إنسانية لمعاملة المستوطنين للجزائريين⁴، مطبّقين فكرة تسلّط الغالب على المغلوب، وتطبيق قاعدة أن المنتصر له الحق الكامل في التّصرف في حياة المهزّم، وعليه لم يتوان المستوطنون الأوروبيون في إظهار عدائهم تجاه الجزائريين كلّما وجدوا بأنّ ميزان القوى لصالحهم⁵، وحتّى التنظيم البلدي الّذي استحدثته الإدارة الاستعمارية من خلال بلديات كاملة الصّلاحية وأخرى مختلطة وأخرى أهلية، هو تكريس لسلطة الأقلية الأوروبية على الجزائريين⁶.

1- أندري ماندوز، الثورة الجزائرية عبر النصوص، تر: ميشال سطوف ومر: سمير سطوف، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص 200.

2 - شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصرة الغزو وبداية الاحتلال 1827-1871، مج 1، تر: جمال فاطمي وآخرون، دار الأمة، الجزائر، 2013، ص 559.

3 - Darmon P, op.cit, p. 711.

4 - Jean Melia, op.cit, p.133.

5- مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 188.

6 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 75.

إن مثل هذه القوانين الظالمة من طرف الإدارة الاستعمارية هي التي أسست لضبط العلاقات التي كانت تجمع المستوطنين مع الجزائريين، لأن كل ما كان يُجمع من أموال يذهب ببساطة لتمويل مشاريع المستوطنين ويُصرف من أجل رفع المستوى المعيشي لهم إلى أعلى مستوى، متجاوزا بذلك تلك الحياة الراقية التي كان يتحدث عنها الأوروبيون بأوروبا نفسها.

3. 2- الفوارق الاجتماعية بين مجتمع الأهالي والمستوطنين في الجزائر: لم تقم الإدارة الاستعمارية إطلاقا بمحاولة لفهم أو دراسة الحالة النفسية و الاجتماعية للجزائريين، لعلها تجد مخرجا لسياستها التي وطّنتها بالدم والحديد، وفق مبادئ وأعراف أقرتها سياسة التسلط في تثبيت الاستيطان الدائم والاستغلال المتواصل للأرض.

لقد ظلّ العالم الذي كان سائدا في ظلّ النظام الاستعماري عالما مقسّما بين مجتمعين متناقضين، فنجد مدنا للجزائريين ومدنا للمستوطنين ونجد كذلك مدارس للجزائريين ومدارس للمستوطنين¹. فكان المستوطنون يمثلون بالجزائر إمبراطورية مترامية الأطراف لها سلطتها الاعتبارية ولها أساليبها في الحكم والتسيير الداخلي، وذات حكم متميّز داخل إمبراطورية أخرى دون أية علاقات مع مجتمع الجزائريين².

هذا العالم المقسّم الذي يقطنه نوعان مختلفان يطبعه نظام استعماري خاص، ويتّسم بالفروق الاقتصادية والتفاوت الكبير في طراز المعيشة التي لا يمكن أبدا أن لا تنعكس على الوقائع الإنسانية³، هذه الوضعية التي كابدها الجزائريون بأدق تفاصيلها، فأبناء المستوطنين كانوا يرتدون ألبسة ويعتنون بهندامهم جيّداً بحيث يعيشون في عالم قريب من الجزائريين وبعيد عنهم في آن واحد، فقد كانوا قريبين لأنّ الجزائريين كانوا يرونهم أمامهم وهم معجبون بأنفسهم محمّلين بالغلّ والكره للجزائريين في أغلب الأحيان، وبالمقابل كانت بطون الجزائريين خاوية تحسد الأوروبيين على محيّاهم المشرق ووجناتهم الممتلئة، كما كان

1- فرانس فانون، معذبوا الأرض، المرجع السابق، ص 41.

2- Bourdieu, Pierre, Sociologie de l'Algérie, Collections (Que-sais - je), 6 eme Edition, Presses Universitaires de France, Paris, France, 1980, P. 112.

3- فرانس فانون، معذبوا الأرض، المرجع السابق، ص 42.

الجزائريون يشعرون بالغيرة تجاههم بسبب ثيابههم المكوية على الدوام وبشكل جيد و تسريحات شعرهم اللامع المنسق التي جعلتهم في غاية الأناقة¹.

وكان التلاميذ من أبناء المستوطنين الأوروبيين يشغلون تفكير نظرائهم من الجزائريين من حيث الامتيازات التي يحضون بها، حيث يقول مالك بن نبي: "حينما كنت أراهم يتنزهون تحت إشراف ناظر مدرستهم كان الخيال ينطلق معهم، فهؤلاء سيصبحون: محامين، أطباء وأساتذة، أما أنا فقد حكم عليّ بأن أكون عدلاً"²، إضافة إلى ذلك فقد كانت معاناة الجزائريين حتى في أبسط الأمور مع المستوطنين، فشراء قميص حديث كان يلزم الجزائري الذهاب إلى محل فرنسي والتحدث إلى البائع، الذي قد يكون يهوديا أو فرنسيا يتصنع الأهمية ويبث سموم التنمر والسخرية في وجهه³.

ويظهر التباين والتفاوت الذي كان يميز المجتمعين من خلال مجتمع الرفاهية بأحيائه وشوارعه النظيفة ورجاله المستوطنين الذين يعيشون حياة الرغد والبذخ، وغير بعيد منه مجتمع البؤس والشقاء بأحيائه القصديرية وأهله المعرضين للأمراض الفتاكة، والفقر المدقع⁴، فالعنصرية لا توجد فقط بالمساكن المتجاورة وفي الحياة اليومية بل هي موجودة في العقول، فثمة حاجز نفسي منيع يفصل بينهما⁵، وحتى احتفالاتهم بالأعياد المخلدة لتاريخهم كانت خاصة بهم وحدهم ومحرم على الجزائريين الاقتراب منهم ، فكان الجزائريون يراقبونهم من بعيد و يحلمون بدخول عالم حُرّم عليهم الاحتكاك به⁶.

4. العنصرية الاستعمارية الأكثر تعصبا وكرامية في فئات المجتمع الأوروبي

4-1. النساء الأوروبيات أكثر عنصرية وخوفا من العرب: إنّ النساء الأوروبيات عموما هنّ الأكثر عنصرية ويساهمن في منع الاتصال بين المجتمعين، فالعنصرية في أذهانهم هي شكل من أشكال التعبير عن الخوف من الجزائريين، ومن بين هذه الأشكال التي تعزز العنصرية الخبيثة

1 - عبد الرحمن مزبان شريف، المرجع السابق، ص18.

2 - مالك بن نبي، المرجع السابق، ص51.

3 - المرجع نفسه، ص69.

4 - قانون فرانز، معذبو الأرض، المرجع السابق، ص7.

5 - أني راي غولد زيغر، المرجع السابق، ص96.

6 - عبد الرحمان مزبان شريف، المرجع السابق، ص28-29.

ما تجسّد في رواية وداعاً أُمّي، وداعاً قلبي "Adieu ma mère, adieu mon cœur" لمؤلّفها جول روي "Jules Roy" عندما خاطبته والدته و هي تتحدّث عن العرب قائلة: "إنّهم متوحشون. إنّهم يستمتعون برؤية سفك الدّماء هذا كلّ ما يفكرون فيه إنّهم سلالة قذرة" وتضيف قائلة: "إذا كان الله هو الذي خلقهم فعليه أن يتوب فما هم إلا رذيلة وشرّ هكذا وجدناهم، وهكذا بقوا" ثم تضيف "لقد أخطأنا عندما فتحنا لهم مدارسنا على أمل تعليمهم الحضارة. إنّهم يكرهوننا وسوف يقطعون رقابنا في أقرب وقت ممكن".¹

صحيح أنّ هذا الخوف كان له أسبابه في القرن التاسع عشر حتّى عشيّة الحرب العالمية الأولى، حيث لا تزال الصّحف منذ بداية القرن العشرين تنشر بشكل متكرّر قصص عصابات اللّصوص ومهاجمتها المزارعين والمسافرين المعزولين، إضافة إلى قصص نساء قُتلن على يد لصوص مستغلّين غياب أزواجهن²، فعبارة اللص الكبير تعتبر هي الصّوت المتداول لربّات البيوت الأوروبيات الموجه إلى كل أصناف الباعة المسلمين³.

وفي قاعة المحكمة صرخت امرأة أوروبية في وجه شاويش عربي اعترض طريقها: "لماذا لا أرافق ابنتي؟ وبأي حقّ تصدّ الباب في وجهي يا موتشو (ميسيو) أحمد"، مع أنّه لم يكن يسمّى أحمد⁴.

لقد نشأت الفتيات الصّغيرات منذ فترة طويلة في خوف من العرب ومن مظهرهم ومن احتمال الاغتصاب، ولم يكن لدى النّساء الأوروبيات سوى فرصة ضئيلة جدّاً للتعرف حقّاً على المسلمين، كان المسلم بالنّسبة للكثيرين منهم هو العربي الذي يقابلونه في الشّارع، والذي يتجنّبون نظراته خوفاً من أن ينظر إليهم، هذه المخاوف التي عبرت عنها والدّة جول روي "Jules Roy".

وعندما يصل هذا البؤس إلى درجة أنّه لم يعد من الممكن إخفاؤه، فإنّه يكون عدواناً لا يطاق لدرجة أنّه قد يؤدي أحياناً إلى الغضب بدلاً من التعاطف ضدّ البائسين، مثل الذي

1 - Robert-Guiard Claudine, Des Européennes en situation coloniale Algérie 1830-1939, Aix-en-Provence : Presses universitaires de Provence, 2009, p.271. <https://books.openedition.org/pup/7062>

2 - op.cit, p.272.

3 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 77.

4 - المرجع نفسه، ص 59.

مارسته والدة جول روي "Jules Roy" تجاه نساء نزلن من الدّوار المجاور لتسوّل الطّعام، وقالت لابنتها: "إنّهم لا يحصلون إلا على ما يستحقّونه، لماذا لا يكونون في حالة فقر؟ لا يفعلون شيئاً إنّ العرب جنس من المتسوّلين والكسالى والجهلاء"¹، فالنّساء المسلمات اللّاتي يجهلن كلّ شيء عن اللغة الفرنسية كنّ يرفعن أيديهن إلى السّماء، ليشهدين الله على خبث هؤلاء الكافرات وهو اللقب الذي كان يعطى للأوروبيات².

وإذا كان الفقر نادراً ما يُذكر في كتابات وشهادات المستوطنين، فإنّ القذارة غالباً ما تُذكر، فهي في نظرهم تسمح لهم بتبرير عنصريتهم، والنّساء في أغلب الأحيان يُلَمّن الجزائريين على قذارتهم، فتقول إحداهن: "لم أكن لأعهد بأطفالي إلى امرأة عربية لأنّ معظمهنّ كنّ قذرات"³، فمنعت العديد من الأُمّهات الأوروبيات أطفالهنّ من اللعب مع الأطفال العرب في المدرسة بسبب الاشتباه في إصابتهم بالقمل⁴، وكانت الفتيات الصّغيرات يرين الفقر والقذارة في كلّ جزائريّ ولا ينظرن إليه عن كُتب خشية أن تكون رائحته كريهة⁵، كما أن ماري كاردينال "Marie Cardinal" في طفولتها سمعت والدتها تقول: "لقد كنّا طيبين، والعرب أشرار"، فكانت هذه هي الصّورة العنصرية الّتي رسمتها الأُمّهات الأوروبيات في أذهان أطفالهنّ وربّوهم عليها.

4- النّظرة العنصرية الاستعلائية لدى النّخب الأوروبية المثقفة: ستصبح هذه النّظرة العنصرية المقيّنة أكثر عنصرية عندما تتلوّث بها الطّبقة المثقّفة، وهذا ما بدر من البروفيسور كوستونيني "Costantini" بمستشفى مصطفى باشا وهو يشرح لطلّاب السّنة الأولى من كلية الطّب طريقة شلّ حركة السّاعد في حالة كسر العظم، وقال لهم: "يجب أن يتمّ على طريقة أعطيني صوردي أي بطريقة المتسوّل الجزائري الّذي يمدّ يده في شوارع العاصمة"⁶، وكثيراً ما كانت تحدث صدامات بين الطلاب الجزائريين والأوروبيين تعكس ما يكنّه المستوطنون من

1 -Robert-Guiard, op. cit, p273.

2 - مصالي الحاج، المرجع السابق، ص.54.

3 -Robert-Guiard, op. cit, p274.

4 -Ibid,p275.

5 -Ibid,p276.

6 - أحمد طالب الابراهيمي، مذكرات جزائري (1932- 1965)، ج 1، دار القصة، الجزائر، 2006، ص.66.

حقد وغلّ، ومن أمثلة ذلك ما تلقّظ به طالب من أصل مالطي قدم من نواحي سوق أهراس أمام كلية جامعة الجزائر مخاطبا فرحات عباس بهذه العبارات "لولا فرنسا لكنت راعي ماعز في دوارك"¹.

ومن مظاهر العنصرية التي كان يمارسها المثقفون الأوروبيون خاصّة في تعاملهم مع الطّلاب الجزائريين، ما تعرض له أحمد طالب الإبراهيمي أثناء امتحان نهاية السّنة الثانية من قبل أستاذ التّشريح دوريبى "Douribi"، عندما طرح عليه ثلاث أسئلة وهو الذي اعتاد طرح سؤاين فقط على المترشّحين للامتحان الشّفوي، وكأنّه يريد أن يسقطه في الامتحان فقط لأنّه جزائري².

كان المستوطنون يمتقّون ويرفضون أن يروا أيّ جزائري يعتلي المناصب أو أن يقترب منهم، وهذا ما تعرّض له عبد الرّحمان فارس بعد التحاقه بمنصب موثّق بمدينة البرواقية، واستقباله من قبل وكيل الجمهورية بفتور يدلّ على مقته الشّديد لكلّ ماله علاقة بالجزائر³، بل بلغ الحقد بهم إلى حدّ قيام رئيس بلدية البرواقية بارغو "Pergaud" بإعطاء أوامر للتّجار ببيع المواد الغذائية واللحوم للزبائن الأوروبيين كأولوية عن الأهالي الجزائريين، وهذا ما همس به أحد الجزائريين في أذن عبد الرحمان فارس الذي كان متعودا على اقتناء اللحم منه⁴، ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ، فرئيس البلدية المزارع وصاحب محطة للعلاج بالمياه المعدنية وعند استقباله لعبد الرحمان فارس لم يحتلّ وعبر له عن عنصريته الدّفينة والمقيّنة مخاطبا إياه: "لم أكن أعلم أنّ العربي بإمكانه أن يعيّن موثّقا"⁵.

فالتّخبة المثقّفة الأوروبية من أطباء وأساتذة ورجال الدّين في اعتقاد ايفون تورين "Yvonne Turin" ليسوا أبرياء من العنصرية تجاه الجزائريين، فهم يشكّلون حلقة من حلقات هذا النّظام الاستعماري، فتقول: "العرب يلتزمون الحذر من المعلّم تماما كما

1 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، المرجع السابق، ص 12.

2 - أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص 66.

3- فارس عبد الرحمان، الحقيقة المروّمة- مذكرات (1945-1965)، ترجمة: مسعود حاج مسعود، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار القصة، 2007، ص 20.

4 - فارس عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 27.

5 - آني راى غولد زيغر، المرجع السابق، ص 259.

يتحفّظون من الطبيب ومثلما يتّقون شرّ رجل الدّين نفسه ... فمن أين لهؤلاء الأوروبيين أن يتحوّلوا الى رجال خير فجأة¹،

وحتى مفكروهم تلوّثوا بالعنصرية ومنهم ديمونتس "Demontes" الذي قال: "إنهم وقحون ومتعجرفون، فهم لا يشعرون بسعادة الوجود إلّا في حياة كسولة منعزلة وفاسدة ولهذا فهم لا يهضمون عادات الأوروبيين"، إضافة إلى ما قاله ريكو "Ricoux": "أن العرب والبربر بلا شك الأعراق الأقل قيمة وانحطاطا"².

وحتى سياسيينهم عبّروا وبشدة عن عنصريّتهم تجاه كلّ ما هو جزائري، من خلال تصريح النّائب البرلماني روني مايير "Mayer Rooney" بالجمعية الوطنية الفرنسية قوله: "أنّ علينا أن لا نلوّث الجمهورية بإدخال الشّعب الجزائري إليها، ذلك أنّ القيم تتسمّم وتفسد على نحو لا يمكن إصلاحه متى جعلناها تحتكّ بالشّعب المستعمر"³.

وقد صرّح "بوديشون" "Bodichon" عندما ترشّح للانتخابات سنة 1848 في إشارة منه لا تتعدّى سلطة الغالب على المغلوب، حول العلاقة الاجتماعية بين المستوطنين والجزائريين بقوله: "سأعاملكم طبقا لقانون الاحتلال وبدكتاتورية لا حدود لها، وهذا خدمة لمصلحتكم ومصلحتي على السّواء"⁴.

وحتى مدارس الطّب لديهم نثرت سمومها العنصرية من خلال الدّراسات التي قامت بها حول عقلية الجزائريين، محاولين استيعاب عللهم ومحاولة إيجاد حلّ لمشاكلهم، فطرح الطبيب أنطوني بورو "Antony Boro" دراسته التي حدّد فيها طباع الجزائري بقوله: "هو شخص ثرثار كاذب وسارق وكسول وذو هذيان هستيري، وهذا ما يؤدي به إلى ارتكاب جرائم قتل لا يمكن التنبؤ بها"⁵.

1- محفوظ سماتي، الأمة الجزائرية، نشأتها وتطورها، ترجمة: محمد الصغير بناني و عبد العزيز بوشعيب، منشورات دحلب، الجزائر، 2007، ص 202.

2- كاتب كمال، أوروبيين أهالي ويهود الجزائر- تمثيل وحقائق (1830 - 1962)، تر: رمضان زبدي، دار المعرفة، الجزائر، 2011، ص 290.

3- فانون فرانز، معذبو الأرض، المرجع السابق، ص 17.

4- شارل أندري جولييان، تاريخ الجزائر المعاصرة ...، مج 1، المرجع السابق، ص 571.

5- مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 427.

هذه النظرية العنصرية التي طرحها هذا الطبيب لقيت دعما كبيرا من تلاميذه الذين تتلمذوا على يديه، ومنهم موريس بورو "Mourice Porot" وبييرسون "Pearson"، الذين أكدوا أفكار أستاذهم فيما يخص الاندفاع الإجرامي للجزائريين، فهو في نظرهم عديم القشرة الدماغية حسب اعتقادهم، ووصفوه بأنه: "شخص بدائي، نباتي، غريزي ومنقاد بنشاط الدماغ البشري مثل الفقاريات ويخضع لأوامره دون أدنى تفكير في العواقب"¹، ومن الأعمال المشينة التي عكست عنصرية هذه الطبقة من المستوطنين هو قيام الصيادلة بمنع بيع الحقن الواقية وحتى الكحول والقطن للجزائريين².

وبالنسبة للتعليم لم يسبق للصحافة والرأي العام ولا حتى في خطابات البرلمانيين في الجزائر، أن عبّروا عن أفكارهم العنصرية في مناهضتهم السياسة التعليمية الخاصة بالجزائريين، بمثل تلك الشراسة التي أظهرها 1884-1898، ففي صحيفة لو راديكال "Le Radical" بتاريخ 16 فيفري 1896 كتبت: "أنّ العربي من سلالة منحطة...لن يتمكن أبدا من هضم العلوم مهما اغترف منها...إنّه أسير حمقه وغرائزه وحاجاته التقليدية"³، ناهيك عن الرغبة المتكررة للمجلس العام بمدينة الجزائر سنة 1894 بضرورة إغلاق مدرسة البنات المسلمات اليتيمات في بلدية تادارت، أو تحويلها إلى معهد وطني للتكوين المهني بحجة أن تعليم البنات المسلمات يدفعهنّ إلى البغاء⁴.

وفي سنة 1894 أعلن المستوطنون في المجلس الأعلى و بشكل واضح أنّ الجزائريين يصلحون فقط أن يكونوا خمّاسين وخدم في المزارع، بل قاموا باحتجاجات عنيفة ضدّ أيّ محاولة لإلغاء قانون الأهالي أو التخفيف منه مثلما حدث في 15 جويلية 1914، واصفا جول

1 - مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 428.

2- قانون فرانز، العام الخامس للثورة الجزائرية، ترجمة: ذوقان قرقوط ومراجعة: عبد القادر بوزيدة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 151.

3 - Charles-Robert Ageron, Les Algériens musulmans et la France 1871-1919, tome premier, Edif, 2000, p.535.

4 - Ibid, p.535.

فيرى تفكير المستوطنين بالضيق، فقال: "في قلوبهم موجة من الحقد والكراهية"¹، وأنهم لا يعرفون شيئاً عن كيفية التصرف مع الجزائريين سوى سياسة القمع².

وفي المجلس الاستشاري العام للمستوطنين بقسنطينة قدّم أحد المنتخبين الأوروبيين تقريراً للمجلس حول سرقة بقرة تخصّ أحد المستوطنين الفرنسيين، وختم تقريره بقوله: "بالطبع فإنّ السارق هو أحد الجزائريين"³، هذا الكلام يعكس تماماً تلك الكراهية والعنصرية التي تحملها نفوس هؤلاء تجاه الجزائريين.

ورغم محاولات الحاكم العام شارل جونا "Charles Jonnart" تهدئة المستوطنين بعد إصدار "إصلاحات 4 فيفري 1919" والتقليل من قيمتها، فقد لقيت معارضة شديدة من قبل نواب المستوطنين في البرلمان⁴، ومما زاد المستوطنين إحساساً بالخطر الذي يحرق بمصالحهم مشاركة المستشارين البلديين المسلمين في انتخاب شيوخ البلديات، ليقوموا بشنّ هجوم عنيف ضد الأمير خالد إثر حملته الانتخابية، ووصفه بالقومي والمعادي لفرنسا، وازداد هذا القلق أكثر لما رأوا الأمير خالد يعقد اجتماعات في باريس مع الشيوعيين⁵.

ومن بين المواقف التي تُظهر تصلّب وتعنّت المستوطنين ونظرتهم الضيقة للأهالي مشروع بلوم فيولي "Le Projet Blum-violette"، فقد عبّروا عن معارضتهم الشديدة له ورفض أية إصلاحات تمسّ مصالحهم⁶.

ومما يؤكّد الكره والرفض، أنّه عندما عرض الحاكم العام بالجزائر إيف شاتانيو "Chataigneau Yves" سنة 1944 مشروعه الإصلاحى، وقف المستوطنون ضده وعبّروا عن انزعاجهم العميق بقولهم: "لم يبق أمامنا سوى حزم أمتعتنا"، وبالفعل أوقف المشروع شكلاً ومضموناً بسبب رفض المستوطنين له⁷.

1 - كوليت وفرانسييس جونسون، الجزائر خارجة عن القانون، تر: محمد المعراجي، دارثالة، الجزائر، 2014، ص 72.

2 - بتريشيا لورسن، المرجع السابق، ص 286.

3 - مالك بن نبي، مذكرات شاهد على قرن، ص 63.

4 - كوليت وفرانسييس جونسون، المرجع السابق، ص 72.

5 - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، تر: محمد البار، دار الأمة، الجزائر 2011، ص ص 142-143.

6 - بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، تر: مسعود حاج مسعود، ط2، دار الشاطبية، الجزائر، 2012، ص 89.

7 - أني راي غولدزيفر، مرجع سابق، ص 276.

كما تحدّث المندوب المالي "دو صولي" "De Solliers" عن حالة الجزائريين ووصفهم بالفقراء البائسين الذين يسكنون أقفاصا مصنوعة من القصب الهشّ ويلبسون برانس مهترئة أو قنادر متّسخة ويتغذّون في أيام الأعياد بكسرة خبز من الشّعير لا يستسيغها حتى الكلاب¹.

5. العنصرية الاستعمارية تجاه الجزائريين المواليين للإدارة الاستعمارية

لم يسلم حتّى الأعيان المواليون للإدارة الاستعمارية من النظرة العنصرية والاستعلانية للمستوطنين الأوروبيين رغم الخدمات التي قدّموها، وهذا ما عكسته تلك الأمثلة الشّعبية القديمة التي خصّصت للجزائريين، ومنها "العربي عربي ولو كان الكولونيل بن داود"، ويقال أنّ "بن داود" الذي كان يتقلّد رتبة عسكرية سامية في الجيش الفرنسي كان متواجدا في حفلة أقامتها الإدارة الاستعمارية وأراد أن يرقص مع سيّدة فرنسية والبعض الآخر يقول أنه أراد مصافحتها، فرفضت ذلك بأسلوب فيه الكثير من الغلوّ والاحتقار، فيضرب هذا المثل على أن الجزائري ومهما وصل في المراتب الاجتماعية و تقلّد من الرّتب، لا يعني ذلك شيئا بالنّسبة للمستوطنين الأوروبيين، لأنّه سيبقى عربيا خسيسا في نظرهم².

وفي موقف آخر تجسّد من قبل شخصين إسرائيليين كانا يجلسان على طاولة في شرفة أحد المقاهي، مرّ عليهما عبر الشّارع أحد رؤساء العرب المنتخبين في المجالس الولائية وهو مندوب مالي، فقال أحدهم: "يا لهيئته النبيلة" فرد عليه الآخر: "ولكنّ هذا لا يغيّر من كونه بيكوسخا"³.

وحثّى في الشّوارع والمتاجر لم تسلم نساء أشرف الجزائريين من عنصرية المستوطنين الأوروبيين رغم ما يقدّمه أزواجهن في خدمة الإدارة الاستعمارية، فكّن يقفن في الطابور كباقي الزبائن ثم يخاطبن بعبارة: "مرحبا فاطمة ماذا تريدين؟"، هاته العبارة التي تطلق على كل النّساء من الأهالي المسلمات دون أي اعتبار لمكانتهنّ أو لمكانة أزواجهنّ من الأشراف⁴.

1 - Charles-Robert Ageron, op. cit, p.845.

2 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 86.

3 - عباس فرحات الجزائر من المستعمرة إلى المقاطعة، ص ص 140-141.

4 - Jean Melia, op. cit, p48.

بل هناك ما هو أسوأ من ذلك، ففي مكتب رئيس الشؤون الأهلية في الحكومة العامة للجزائر الذي أصبح المندوب المالي ورئيس بلدية الأبيار، تم تمرير بطاقة زائر لأحد كبار الجزائريين من عائلة مرموقة ومتحصّل على وسام للصليب الأكبر من جوقّة الشرف، عُرف بخدمته ونضاله لصالح فرنسا، وبرغم تقدّمه في السنّ شارك مع الفرنسيين في الحملة ضدّ المغرب كما شارك على الجبهة بفرنسا وكانت سمعته طيبة، يقول جون ميليا " Jean Melia" سألنا مدير الشؤون الأهلية إن كانت لدينا مشكلة في تقديم الزائر على الفور، فأجابنا وكيف لا، لنا الشرف أن نتعرّف على هذا الزعيم، وعندما دخل وقفنا له نقدّم له كلّ احترامنا إلّا ذلك المدير ظلّ جالسا على كرسيّه ويقول بصوت متعجرف ونبرة عنصرية متغطّرة: "مرحبا جلّول كيف حالك" دون أيّ احترام لتضحياته وخدماته لفرنسا¹.

وفي موقف عنصري آخر حدث بمكتب أحد كبار المسؤولين في الحكومة العامة كان ضحيته شاب من الجزائريين، لديه شهادة في القانون تقدّم للاستفسار حول منصب عمل كان قد رُشّح له، و يحمل معه توصية من النائب البرلماني موتيت "M. Moutet"، وكان هذا الشاب الجزائري يرتدي لباسا على الطراز الأوروبي ويضع قبعة على رأسه، فصرخ أحد المسؤولين في وجهه وبسخرية مقبّية قال له: "لا يمكن أن يتعرّف عليك إخوانك وإن تعرفوا عليك سيكونون قادرين على فعل أشياء سيئة لك"، فصُدّم ذلك الشاب الجزائري من الترحيب الذي لقيه، بعد أن كان يعتقد أنّه يفعل الشيء الصّحيح عندما أصبح فرنسيا وغادر المكتب في غيظ شديد².

الخاتمة: بعد معالجتنا لهذا الموضوع خلصنا إلى جملة من التّائج يمكن تلخيصها في النّقاط التالية:

- لجأت فرنسا الاستعمارية وعلى عقود متتالية إلى قهر الجزائريين والسّعي بكلّ الطّرق للقضاء عليهم من على وجه الجزائر من جهة، وبالدّعم اللامتناهي لمن جلبتهم لإنجاح مشروعها الاستعماري من جهة أخرى، فكانت وراءهم وبقوّة من خلال تشجيعها للهجرة والاستيلاء على الأرض و الأملّك العقارية.

1 - Ibid, pp.48-49.

2 - Ibid, p.49.

- مكّنت الإدارة الاستعمارية المستوطنين من كلّ شيء ولبّت حاجاتهم في جميع الميادين، فأصبحوا من كبار الأثرياء و تمكّنوا من الوصول إلى مركز القرار بالمجالس المنتخبة فسيّروا البلد برؤيتهم وأهدافهم على أنّهم هم السّادة والآخرين من العبيد، كما هيمنوا على الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، فسيطروا على مراكز التأثير في البرلمان والحكومة، حفاظا على امتيازاتهم الكاملة.

- إنّ المستوطن الأوروبي و من ورائه الإدارة الاستعمارية الفرنسية كرّس التفرقة العنصرية وحرص على بقاء أغلال الاستعباد، وكانت سلوكياتهم تجاه الجزائريين يميّزها الاحتقار والاستخفاف، معتبرين الجزائري غير مستوعب لأخلاق الحضارة الغربية وحامل لقوى الشرّ، وحتّى مفكرهم الذين ساهموا وبشكل كبير في تنشئة العامة منهم على نظرة متحيّزة لعرقهم يملؤها التّطرف والحقد والتّعصب.

- إن عدم فهم الحاجات وإهمال المساعدات المتبادلة بين المجتمعين عطّل دفع عجلة التّواصل الاجتماعي بينهما، كما أجهض نهائيا فكرة خلق مجتمع أوربي بالجزائر مبنيّ أساسا على مفاهيم التّعايش الإيجابي والاحتكاك الاجتماعي، وهو ما أدّى إلى إحداث شرخ كبير بين روح الحضارة الإسلامية وروح الحضارة الغربية بالجزائر، باعتبار أنّ هذا الصّراع لم يكن أساسه سوى صراع حضاري بين شعبين لهما مفاهيم وعقائد حضارية مختلفة ، وهذا ما خلق سدّا منيعا وحاجزا ضخما بين الجزائريين والمستوطنين، جعل أي اتّصال بين المجتمعين غير ممكن بل أصبح من المستحيلات.

قائمة المصادر والمراجع:

- الإبراهيمي أحمد طالب، مذكرات جزائري (1932 – 1965)، الجزء الأول، دار القصة، الجزائر، 2006.
- ابن العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الثالثة 1947-1954، الطبعة الأولى، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983.
- الأشرف مصطفى، الجزائر الأمّة والمجتمع، ترجمة: حنفي عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- بن خدة بن يوسف، جذور أوّل نوفمبر 1954، ترجمة: مسعود حاج مسعود، الطبعة الثانية، دار الشاطبية، الجزائر، 2012.
- بن نبى مالك، مذكرات شاهد القرن، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، 1980.
- بوحوش عمّار، العمال الجزائريون في فرنسا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

- بوزوزو محمود، هل من جديد أمّها الوالي الجديد، مقال بجريدة المنار، العدد الرابع، السنة الأولى، 21 ماي 1951، الجزائر.
- بوعزيز يحيى، سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية (1830- 1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- جريدة المجاهد، "ما لم تقرأه عن مظاهرات الجزائر"، العدد 87، اللسان المركزي لجهة التحرير الوطني الجزائري، الاثنين 16 جانفي 1961.
- جريدة المجاهد، "الأقليات الأوروبية في الجزائر بين الأُمس والغد"، العدد 51، اللسان المركزي لجهة التحرير الوطني الجزائري، الاثنين 21 سبتمبر 1959.
- جريدة المجاهد، "من 8 ماي 1945 ... إلى ثورة 1 نوفمبر 1954"، العدد 23، اللسان المركزي لجهة التحرير الوطني الجزائري، الأربعاء 7 ماي 1958.
- جولييان شارل أندري، تاريخ الجزائر الغزو وبداية الاحتلال، المجلد الأول، ترجمة: جمال فاطمي، دار الأمة، الجزائر، 2013.
- الحاج مصالي، مذكرات 1898-1938، ترجمة: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.
- حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة: نجيب عياد و صالح المثلوثي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994.
- خياطي مصطفى، الطبّ والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، المؤسسة الوطنية للطبع، الجزائر، 2014.
- زوزو عبد الحميد، محطّات في تاريخ الجزائر والحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة، الجزائر، 2004.
- سارتر جان بول، عارنا في الجزائر، ترجمة: عايدة وسهيل ادريس، دار الآداب، لبنان، 1958.
- سارتر جون بول، مواقف مناهضة الاستعمار، ترجمة: محمد المعراجي، مراجعة: أحمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007.
- سعد الله أبو القاسم، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، دار الغرب الاسلامي، 1996.
- سليمان الشّيخ، الجزائر تحمل السّلاح، ترجمة: محمد حافظ الجمالي، دار القصبة، الجزائر، 2007.
- سماتي محفوظ، الأمة الجزائرية، نشأتها وتطورها، ترجمة: محمد الصغير بناني و عبد العزيز بوشعيب، منشورات دحلب، الجزائر، 2007.
- عباد صالح، المعقرون والسياسة الفرنسية في الجزائر 1870-1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- عبّاس فرحات، الشّاب الجزائري من المستعمرة الى المقاطعة، ترجمة: احمد منور، الجزائر، 2010.
- عبّاس فرحات، ليل الاستعمار، ترجمة: أبو بكر رخال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005.
- عبد الرحمان فارس، الحقيقة المرة - مذكرات (1945-1965)، ترجمة: مسعود حاج مسعود، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار القصبة، 2007.
- غرانميزون أوليفي لوكور، الاستعمار الإبادة تأملات في الحرب و الدّولة الاستعمارية، ترجمة: نورة بوزيدة، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2008.

- غولد زيغر أني راي، جذور حرب الجزائر (1940-1945)، ترجمة: وردة لبنان، مراجعة: حاج مسعود حاج، دار القصة، دار القصة، الجزائر. 2012.
- فانون فرانز، العام الخامس للثورة الجزائرية، ترجمة: ذوقان قرقوط و مراجعة: عبد القادر بوزيدة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
- فانون فرانز، معذبو الأرض، ترجمة: سامي الدروبي و جمال الأتاسي، الطبعة الخامسة، دار الطليعة، لبنان، 1984.
- قداش محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، ترجمة: محمد البار، دار الأمة، الجزائر 2011.
- كاتب كمال، أوروبي ين أهالي ويهود الجزائر - تمثيل وحقائق (1830-1962)، ترجمة: رمضان زبدي، دار المعرفة، الجزائر، 2011.
- كوليت و فرانسيس جونسون، الجزائر خارجة عن القانون، ترجمة: محمد المعراجي، دار ثالة، الجزائر ، 2014.
- لورسن بتريشيا، هويات استعمارية الصورة التمثيلية والتحيّز والأعراق في الجزائر المستعمرة، تر: ابتسام خضرة، دار الامير للنشر والتوزيع، باريس، 2022.
- مامي ألبير، صورة المستعمر، ترجمة: ميشال سطوف، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007.
- ماندوز أندري، الثورة الجزائرية عبر النصوص، ترجمة: ميشال سطوف ومراجعة: سمير سطوف، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007.
- مزيان شريف عبد الرحمن، حرب الجزائر في فرنسا- موريسيان- جيش الخفاء، ترجمة: العربي يونون، دار الحكمة، الجزائر، 2012.
- يحيوي مسعودة مرابط، المجتمع المسلم والجماعات الأوروبية في جزائر القرن العشرين حقائق وإيديولوجيات وأساطير ونمطيات، المجلد الثاني، دار هومة، الجزائر، 2010.
- Bonze (Raymond), L'Algérie du centenaire vue par l'université de France, publication du comité national métropolitain du centenaire de l'Algérie, SD.
- Bourdieu Pierre, Sociologie de l'Algérie, Collections (Que-sais - je), 6 eme Edition, Presses Universitaires de France, Paris, France, 1980.
- Charles-Robert Ageron, Les Algériens musulmans et la France 1871-1919, tome premier, Edif, 2000.
- Goinard Pierre, Algérie l'œuvre française, édition, Laffont, paris, 1994.
- Jean Melia, Le Triste sort des indigènes musulmans d'Algérie, Paris, Mercvre de France, 1935,
- Papa-Louette, journal des sans-souci, Journal satirique, humoristique et littéraire, Démonche 1908-01-19.
- Robert-Guiard, Claudine, Des Européennes en situation coloniale: Algérie 1830-1939, By Robert-Guiard. Aix-en-Provence : Presses universitaires de Provence, 2009.
- Mare Klein, Le Moutchou (le battah), organe officiel de l'Association générale des étudiants d'Alger. 1925.